خارج المدى

مقترح لاتحاد الأدباء العراقي

عبد الخالق كيطان

مثل سقوط نظام صدام في العراق في العام ٢٠٠٣ فرصة كبيرة لانعتاق الثقافة العراقية من أسار العبودية التي جسدها النظام الديكتاتوري، وكما هو متوقع بعد التحرير فقد انطلقت عشرات المشاريع الثقافية والصحافية والاعلامية والتلفزيونية ما يعطي الدليل القاطع على رغبة الثقافة العراقية في الانطلاق والتحرر. ولقد كان اتحاد الأدباء أبرز التشكيلات الثقافية الوطنيةالتي أفادت من الحرية الوليدة عندما جرت، ولأول مرة منذ عقود، انتخابات ديمقراطية حقيقية رشح عنها انتخاب مجلس جديد للاتحاد العريق. والملاحظ بعد هذه السنوات التي تلت سقوط الديكتاتورية تردد نخبنا الثقافية في اتخاذ خطوات شجاعة على طريق حلحلة الوضع المتأزم عراقياً، وخاصة في الجانب السياسي، والبقاء في دائرة ردود الأفعال فقط، وعلى أكثر تقدير الاكتفاء بإصدار بيانات معينة في المناسبات الوطنية الأليمة المختلفة.

إن مشاركة المثقف العراقي في إدارة مشروع الديمقراطية الوليد في العراق ظلت دائماً هامشية، وتضج الصحف العراقية بشكاوى متكررة لمثقفين يرون أن دورهم قد همشته الأحزاب والتيارات السياسية في الوقت الذي يعتقد فيه أصحاب هذه الشكاوى بأن المثقف هو الأكفأ من غيره على انضاج خطاب وطني في هذه المرحلة الحرجة في تاريخ البلد.

وإذا كنا نتفق مع الكثيرين في أن السياسي إنما يفكر بالثقافة باعتبارها وسيلة إعلامية ليس لها غير تلميع برامجه فإننا من جهة أخرى ندعو إلى تفعيل عمل المثقف بما يقطع الطريق أمام السياسي لتكرار ترديداته المخطوءة عن دور المثقف. ندعو هذا المثقف إلى تقديم مبادرات وطنية شجاعة تخص العديد من المسائل التي أصبحت إشكالية اليوم، مبادرات تخرجه من رتابة القاعات المغلقة الصغيرة والجمهور المتواضع والعزلة التي وجدت من ينظر لإيجابياتها، وللأسف الشديد.

إن ما رشح في الشارع العراقي بعد جريمة تفجير مرقدي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام في سامراء الشهر الماضي يدعو النخب الثقافية العراقية بقوة للخروج من عزلتها والتقدم بمشروعات وطنية متكاملة تقلل من حدة خطابات السياسيين من جهة وتقلل من توتر أبناء الوطن الواحد من جهة ثانية، ناهيك عن أن هذه المشروعات سوف تضع النخب الثقافية مرة أخرى في واجهة الحدث الوطني. ولعل في ذلك فرصة لصياغة علاقة جديدة بين المثقف والمواطن في بلاد عرف عنها على مر الزمان تخريجها العقول الفكرية الجبارة في مختلف ميادين الابداع.

ما فعلته النخب الدينية بعد جريمة سامراء كان جهداً مشكوراً ولا شك عن طريق حقن الدم العراقي مؤقتاً عندما طالبت هذه النخب أتباعها بضرورة الصبر والتمسك بالهدوء، ولكن هذه الدعوة تمثل عقاراً مهدئاً لا أكثر ولا أقل، بمعنى أننا سنحتاج إلى عقار مشابه كلما تعرض مقدس عراقي للتهديد، ولقد كثرت هذه التهديدات، ولعل آخرها سلسلة التفجيرات البشعة التي طالت الأبرياء في مدينة الصدر، ولا نعتقد بأن حل العقار المهدئ هو ما يحتاج إليه وطننا وشعبنا وإنما الحلول الكبرى التي تحقن الدم العراقي وتضع الخطط الكفيلة بانضاج مشروع وطني متكامل للخروج من الأزمة الحالية، أزمة الطائفية بشكل خاص، ومن ثم فإن هذا المشروع سيعيد النخب الثقافية العراقية إلى واجهة الحدث التي ابتعدوا عنها. علينا التأكيد هنا بإن دعوات الصبر والانتظار والتغلب على الآلام وما إليه من التي يطلقها رجال دين وسياسيون عراقيون ليست دعوات بطرة في هذا الوقت العصيب، ولكن علينا أن لا ننسى قدرة المواطن على التحمل، ومن المؤكد أننا نرى اليوم تمظهرات عن انهيار تلك القدرة لدى عدد كبير من المواطنين، وليس في ذلك أية مثلبة، فلكل انسان طاقة صبر محدودة ربانياً ومجتمعياً.

صدر عن (المدى)

بيت على نهر دجلة
للروائي مهدي عيسى الصقر

مراجعة: باسم عبد الحميد حمودي

يقول مهدي عيسى الصقر على لسان بطله سعيد –في واحدة من تجلياته أمام ولديه – وقد حكى لهما حكاية حقل الألغام "لا أحد يعرف خبايا الحقل المميت حتى يتجنبه، إلا إذا كان هو الذي بذر البذار فالأرض تلوح بريئة. شجيرات عاقول وقبرات صغيرات وهواء لطيف وشمس صافية" وسعيد، شبه المجنون، الأسير السابق، والجثة غير الحقيقية والابن والأخ معاً للسيدة ساهرة المطلوب يخوض حياة إشكالية متكاملة في رواية الصقر الجديدة (بيت على نهر دجلة) التي تتمتع كعمل فني بنوع من الهيمنة والاستحواذ (المهني) على القارئ منذ الصفحة الأولى حيث تقضي (ساهرة) وقتاً لتنويم أخيها سعيد والاطمئنان على سكونه قبل أن تعود إلى فراشها مع زوجها لتجاوره في الفراش وهو يتمدد مستفزاً خائفاً من ليلة جديدة يقوم فيها سعيد (المختل العقل إلى حد) بإشعال جزء من البيت كما يفعل بين حين وآخر. إنه (سعيد) مشعل حرائق بدأت به عندما ذهب إلى الجبهة وتعرض إلى حقل الألغام ثم إلى الأسر فيما اكتشف المسؤولون العسكريون وفاته لتعيش شقيقته ساهرة وزوجته فاتن أياماً في مركز استلام الجثث مع الضابط منصور. خلال ذلك كانت (ساهرة) تعاين كل الجثث العائدة دون وجل بينما اكتفت فاتن بالتجربة الأولى في المشاهدة ثم أغمي عليها ففضلت الجلوس في غرفة الضابط مما مهد لها وله سبيل علاقة جديدة.

"لا أحد يعرف خبايا الحقل المميت حتى يتجنبه" وهكذا لم يتجنب أحد الحقل الذي مشى فيه، ساهرة المطلوب وهي تبحث عن حقلها الخاص، استقرارها الذهني والنفسي لدى الطبيب محمود سالم الذي تعترف له في جلسات مستمرة عن أزماتها الحياتية وحركتها في مركز استلام الجثث للوصول إلى الحقيقة دون وجل ولا خوف من أية تغيرات فسيولوجية تتمظهر في الجثث العائدة دون أن تحصل على نتيجة واضحة سوى (النتيجة) التي أوصلها الضابط منصور لها على شكل تابوت.

وماجد، زوج ساهرة الذي عاش ليالي مرعوباً من نار قد يشعلها (سعيد) العائد من الأسر في المنزل وهو رهين شرط عدم مس زوجته – وهي إلى جواره –حتى يعود عقل أخيها وابنها (سعيد) إليه.

وحقل الألغام هذا، وهو حقل الحياة نفسها جر فاتن زوجة سعيد من بيت زوجها إلى بيت زوجها الثاني الملازم منصور، وجعل الطبيب المعالج (د. محمود) شبه مجنون لكثرة الاعترافات المرضية التي استمع إليها طوال حياته في عيادته، وهو حقل الألغام ذاته الذي وضع الصقر أبطال روايته فيه، وهو حقل ألغام مفتوح يمتد من أرض الجبهة إلى المقبرة حيث ترقد جثة لشهيد باسم (سعيد المطلوب) على سبيل الخطأ فقد عاد سعيد من الأسر وهو شبه مجنون وقد سبب لشقيقته الكثير من المتاعب في مشاهد حياتية متصلة وهي تقاوم كل سلبياته بتجاوزها وعدم التمسك بها أو وضعها كحاجز بينها وبينه.

ساهرة في (بيت على نهر دجلة) تتمسك بسعيد ميتاً أو حياً، مختلاً عقلياً أو إنساناً صافياً يروي الحكايات لولديه وهي تجد فيه بنية شخصية أخرى لبنيتها، بل إعادة تجسيد لإرادة تريد تشكيلها على ما ترجو لكنها لا تستطيع وتظل تعيش أزمة الاستمرار في إعادة صياغة شخصية سعيد معتبرة تجربتها هذه تجربة العمر الأساسية التي تقفل عند مشهد الرواية الأخير حيث تقترب من زوجها عندما أحست أنه قد دخل إطار عالم الإحساس المرضي الذي قاده إلى الطبيب النفسي (د. محمود سالم) الذي ترك عيادته لجنونه الشخصي، وما أن تقترب ساهرة من زوجها حتى تملأ غرفتها رائحة حريق شمل البيت كله في وقت غادر فيه مشعل الحرائق (سعيد) الدار بعدما نفذ ما أراد.

تبدو النار هنا فاصلاً بين عالم يتهاوى –هو عالم إيمان ساهرة بسعيد –وعالم يظهر متكاملاً تحت الأضواء هو عالم الحقيقة الخارجية التي غابت عن ساهرة وماجد ودخلها سعيد الهارب من عالم صغير احترق بإرادته (المنزل) إلى عالم كبير مزحوم بالخوف والشجاعة والضوء والعتمة والفساد والحرية والعطش والارتواء، هو عالم لا تكشف عنه الرواية ولكن تقودنا إليه بفعل المناخ الكابوسي الذي صنعته لنا طوال فصولها الكاشفة عن تداخل السرد بين عدة أطراف حيث تكون حصص (الروي) موزعة بين المؤلف وساهرة وسعيد وفاتن وماجد ود. محمود حيث تتداخل وتتكاشف في دورة متكاملة تقود إلى إنجاز عملية بناء روائي متقنة كفلت لنا الحصول على رواية إنسانية تكشف عن جانب آخر من معاناة الإنسان العراقي مصورة مجموعة تجارب بشرية خضعت للقسوة والابتزاز والإيمان بشيء والتخلي عنه في وقت عاش فيه سعيد المطلوب جنونه الخاص المنفصل عن تجارب الآخرين وأحلامهم بعد معاناة تلبسته داخل الجبهة وداخل معسكر الأسر فعاد إلى بيته على نهر دجلة ليشد الآخرين في سلسلة تجارب حياتية انتهت بنجاحه في إشعال الحريق وهربه.

إن حركة النص الروائي جاءت مبنية لا على امتزاج بنية الأداء الدرامي بين الشخوص الساردة بل إن فصول الرواية مبنية بشكل توليفي خاص بحيث يبوح كل فصل بجزء من الذي سيحصل في الفصل التالي ويكشف الفصل عن جزء من حركة درامية حدثت في الفصل السابق ولا تظهر الصورة النهائية إلا في الفصل الأخير الذي بدا نتيجة صادمة لكل أفعال الفصول الأخرى وهي نتيجة تتجسد في بنية الرغبة وحريق المنزل واكتشاف مرض الزوج وخروج سعيد إلى حياة أخرى، وهو أمر يجذر وقائع أخرى بنيت داخل هذا العمل الروائي الذي يقود إلى إعادة قراءة تكتشف الوقائع من جديد وهي وقائع مبنية بصورة لولبية صنعها المؤلف على طريقة القراءة الحاسوبية للنص صعوداً ونزولاً عن طريق فأرة البحث في شاشة الرواية.

إنه عمل مميز للأستاذ الصقر يستحق الإعجاب والتهنئة كما تستحق دار المدى –الناشر –الشكر على إظهاره للقارئ الكريم.

من أجل السلام والوحدة العراقية

شباب (عينكاوه) يوقدون الشموع

تحت شعار (لتحلق حمامات السلام في سمائنا رغم الحريق) للشاعر (روند بولص) ، عقد قبل أيام الملتقى العفوي الذي أقامه نادي شباب (عينكاوه) الاجتماعي في ضواحي أربيل ، متزامناً مع الاحداث الاخيرة التي مر بها العراق من تفجير بيوت الله وتهجير العوائل وقتل وإرهاب ، رافعين الدعوة للسلام باشعال الشموع.

خاص بالمدى

فقد ابتدأت هذه المراسيم بمقاطع من موسيقا عالمية، وشباب أوقدوا (١٥٠٠) شمعة لأجل أن ينعم العراق بالسلام، ثم عرضوا مجموعة من الصور المعبرة عن المآسي والاحداث البشعة التي تمر به من جراء الارهاب والاقتتال، معبرين بأقلامهم عما في دواخلهم على لوحة بيضاء، لتصبح في النهاية لوحة متكاملة معبرة عن طموح هذا الجيل الذي يدعو للسلام، ويتطلع الى عراق آمن تسوده الحرية والأمن والاستقرار.

وكان للحضور المفاجئ للفنان (جعفر حسن) طعمه الخاص ليسمع الحاضرين مقطعاً من اغنيته (السلام): (من أجل السلام سنزيل الظلام .. وننشد الأنغام في الحب والسلام)..

وعلى هامش هذا النشاط التضامني، التقينا الأخ (ايفل افرام) رئيس النادي، فقال: جاء هذا النشاط متزامناً مع الأحداث الأخيرة التي شهدها العراق، وباقتراح من نخبة من الشباب، اذكر منهم (سونيا بطرس) و(اسيل نجيب) وغيرهما، اذ كنا نخطط لفعاليات أخرى، لكننا أقمنا هذا الملتقى بشكل عفوي ونابع من القلب، وحتى وجود الفنان (جعفر حسن) بيننا كان محض صدفة، فكل شيء كان تلقائياً وشفافاً ليؤكد مشاركتنا آلام وعذابات أبناء شعبنا.

اما (سونيا بطرس) التي أسهمت في إقامة هذا المهرجان المصغر، فأكدت ان فكرته جاءت لكي لا نكون بمعزل عن مشاركة أشقائنا في الوطن بالمصائب التي تحصل كل يوم. و (اسيل نجيب) هي الأخرى شددت على أن حبها للعراق هو الذي دفعها لاقامة هذا النشاط، وإن الأهم بالنسبة للانسان هو أن ينعم بالسلام وأن يتذكر في مثل هذا اليوم الناس الذين يفتقدونه، عبر مشاركته آلامهم، وتعاطفه الحميم مع محنتهم. فالسلام هاجس البشر الدائم، وهو ينتظر من يصنعه.

قراءات

ترجمة / عادل العامل

نموذج العالم

"ليست هناك فلسفة يمكنها أبداً أن تحل محل الشعر، إلا أن الشعر يمكنه أن يحل محل الفلسفة، شريطة أن لا يصف العالم فقط، بالطبع، وإنما يفسره أيضاً..".

هذا القول للشاعر الليتواني إدواردس ميزيلتيس، من كتابه "الشعر والاعتزاز بالجذور"، الذي يتناول فيه بأسلوبه الشاعري الجميل مختلف موضوعات الحياة الإنسانية المعقدة، ومنها أيضاً ما جاء في هذا المقتطف من الكتاب الآنف الذكر.

إن كلمة "إنسان" قديمة قدم العالم، وهذا لا يعني أنها غدت عتيقة الطراز، ولا يملك الكثيرون أدنى فكرة عن أن الشاعر، عندما ينطق بهذه الكلمة، التي تبدو عارية للغاية، فإنه يكشف عن طبيعته بالذات.

فهل هناك حقاً أمل لدى العلوم الدقيقة، التقنية البايلوجية، هندسة الموروثات، الميكرو إليكترونيك، في نمذجة إنسان جديد؟

وماذا عن الإنسانيات –الشعر، الأدب والفلسفة؟ وهل أن تكافل هندسة الموروثات والهندسة الإنسانية humanaitarian على هذه الدرجة من الاستحالة؟

بعد كل شيء، لديهما الموضوع المشترك نفسه – الإنسان. فلماذا، إذن، ينبغي ان يكون هناك اختلافات في نماذج نمذجته الروحية؟ بصراحة، أنا أخشى أن تضع هندسة الموروثات يدها المجدبة، عاجلاً أم آجلاً، على كل المعرفة المتعلقة بالإنسان. فمنذ أن أصبحت العلوم الدقيقة معزولة بجدار عن الإنسانيات، ظهرت أخطار جديدة. فأين نصل، يا ترى، لو تم ربط هندسة الموروثات بتحسين موروثات الإنسان، بينما تلعب جارتها، الفيزياء النووية، بقدره؟ فهندسة الموروثات تساعد على تحسين المورثة، لكن الإدمان الشديد على المسكرات يدمرها، فأين هو المنطق؟

لا شيء في العالم يصبح عتيق الطراز، خاصة الفكر، فكل ما يبدو أن فكرة ما خاصة تكون عتيقة الطراز على نحو ميؤوس منه. ونحن نخشى هذا مثلما كنا في طفولتنا نخاف ساحرة رمادية الشعر. والواقع أن الفكر هو المادة الوحيدة التي لا تفزع من التجاعيد.

فالفكر ينبثق من ينبوع دقيق لا يدرك، ثم يصير جدولاً، نهراً، والأنهار تندمج لتشكل بحراً.

إنني أخرج لتوي من السن التي كان فيها طيف الألوان وتدرجاتها المعقد الخاص بفسيفساء العالم يتألف من مجرد لونين متغايرين – الأسود والأبيض.. إن المشاعر الداخلية والأمزجة تتغير، والحياة تصبح، بالطبع، أصعب، لكن هذه هي الطريقة التي على المرء أن يشعر بها ويعيش. ما من شيء مطلق في العالم. هناك أناس أينما كان، وأينما كان نرى إلى الكثير مما هو جيد والكثير مما هو رديء. وعندما يصبح مقدار سنوات عمر المرء مهيباً تماماً، تصير مفاهيم الخير والشر متوازنة. وإن لدي ميزاني الذي أقيس به خطوط الطول والعرض المتعلقة بالعالم. فشيء يطابق نموذجي وشيء لا يطابقه. لكن من الأفضل أن لا ندفع الأمور جزافاً، فبعد كل شيء، لا يمكن ملء فراغات الجغرافية الإنسانوية للعالم الحديث كيفما أتفق. وهذا هو السبب في أن هدفي ليس عالم اليوم بل عالم المستقبل.